الحروفُ العربيَّة(١)

لقد أكرمنا اللهُ سبحانه وتعالىٰ بأن أرسلَ إلينا نبيَّنا محمداً ﷺ وأنزلَ عليه ﷺ هذا الكتابَ المعظَّمَ القرآنَ الكريم.

وهذا الكتابُ العظيمُ يتألَّفُ من (١١٤) سورة، وتتألَّفُ السُّورةُ الواحدةُ من آيات، والآيةُ تتألَّفُ من جُملٍ أو من جملةٍ واحدةٍ، والجملةُ العربيَّةُ تتألفُ من كلماتٍ، والكلمةُ تتألفُ من حروفٍ، فالحرفُ هو أصغرُ وحدةٍ بنائيَّة في هذا الصرحِ القرآنيِّ الذي أكرمنا اللهُ تعالىٰ به.

لهذا قامت عنايةُ علمائنا من نهايةِ القرنِ الأوَّلِ الهجريِّ بالحروفِ العربيَّة، وخاصَّةً بعد أن دخلَ غيرُ العربِ في الإسلام، حيثُ بدؤوا يتعلَّمون القرآنَ وينطقون بعضَ الحروف العربيَّةِ بغيرِ نطقِها الصحيح؛ لأنها ليست من لغاتِهم ويخطئون في الإعرابِ مما يُفسدُ معنىٰ بعضِ الآيات.

فقامَ العلماءُ بدراسةِ الحروفِ العربيَّةِ يتذوقونها ويَحصرونها، فتبيَّنَ لهم أنَّ العربَ لها حروفٌ عربيَّةٌ أصليَّةٌ ينطقون بها وعدَّتُها تسعةٌ وعشرون حرفاً، أما المكتوبةُ فهي ثمانيةٌ وعشرون، وهذا مَبحَثٌ لُغويٌّ دقيقٌ يُفيدُ المشتغلين بالدِّراساتِ القرآنيَّة، بل والمشتغلين بالدِّراساتِ اللُّغويَّة، فالحروفُ التي تكتبُها العربُ ثمانيةٌ وعشرون حرفاً واسمُها «الحروفُ الأَبْجديَّة» مجموعةٌ في:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(أَبْجَدْ هَوَّزْ حُطِّي كَلَمُنْ سَعْفَصْ قُرِشَتْ ثَخَذٌ ضَظَغٌ)

هذه هي الحروفُ التي كانت العربُ تكتبُها، وأما الحرفُ التاسعُ والعِشرون فهو (الهَمْزةُ) ولم تكنِ العربُ تكتبُه بل كانوا يستعيرون له صُورةَ الألفِ كما في (ان) أو صورةَ الواوِ كما في (سوال) أو صورةَ الياءِ كما في (سئل) وأحياناً لا يكتبونها أبداً، وهو ما نكتبُه في عصرِنا علىٰ السَّطر كما في كلمةِ (قراءة).

وأما الشكلُ الذي نكتبُه في الإملاءِ تعبيراً عن الهمزة (ء) فقد اخترعَ صورتَه في الخطِّ العالمُ الجليلُ مَفخرةُ الأمَّةِ الإسلاميَّةِ الخليلُ بنُ أحمدَ الفَراهيديُّ[1] حيث رأىٰ أنَّ العينَ هي أقربُ الحروفِ إلىٰ الهمزةِ فاخترعَ للهمزةِ صورةً وهي رأسُ العين (ء).

وأما الحروفُ الهجائيَّةُ التي رتَّبَها الإمامُ الجليلُ نَصْرُ بنُ عاصمٍ[2] فقد أحدثَ فيها نقْطَ الإعجام لتمييزِ الحروفِ المتشابهةِ في الخطِّ من بعضِها، فأوَّلُ ما أحدثوا فيه النقطَ علىٰ الياءِ والتاء[3]، ثم ميَّزوا بقيةَ الحروف المتشابهة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ب،ت،ث) (ج،ح،خ) (د،ذ) (ر،ز) (س،ش) (ص،ض) (ط،ظ) (ع،غ) (ف،ق) (ك،ل).

وقد جعلوا ذلك النقْطَ باللَّوْنِ الأسودِ، أي بلونِ الكتابةِ، بينما بقيت نُقطُ أبي الأسودِ الإعرابيَّة[1] بلونٍ متميِّزٍ من لونِ مِدادِ الكتابةِ، أي بقيتْ باللَّونِ الأحمر.

فالحروفُ الهجائيَّةُ العربيَّةُ تسعةٌ وعشرون حرفاً هي: [أ، ب ت ث، ج ح خ د ذ، ر ز، س ش، ص ض ط ظ، ع غ، ف ق، ك ل، م، ن، هـ، و، لا، ي].

فالحرفُ الأوَّلُ الهمزة، ولكن يُسمى مجازاً ألفا؛ لأنَّ الهمزةَ تصوَّرُ في الخطِّ ألفاً عندَ الابتداء نحو: (أَنَّ) و(إِنَّ) و(أُولئكَ).

ثم (ب ت ث) وهي متشابهةٌ في الخطِّ لولا النُّقطُ التي فرَّقَت بينها.

ثم (ج ح خ) وفُرِّق بينَها بنُقطةٍ وسطَ الجيم، ونقطةٍ فوقَ الخاء، وبالتالي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلم تعدِ الحاءُ بحاجةٍ إلىٰ نقطةٍ لتمييزِها عن أختيها .

ثم (د ذ) وفرِّق بينهما بنَقْطِ الذال .

ثم (س ش) ولكلٍّ منهما له ثلاثُ أسنانٍ فوضع نصرُ بنُ عاصمٍ نقطةً فوق كلِّ سِنٍّ للشين فلم تعدِ السينُ بحاجةٍ إلىٰ نَقْط ، ومع مرورِ الأيامِ صار الخطاطون يكتبون هذه النِّقاطَ الثلاثةَ بشكلٍ مثلث ، ولم تكن تكتبُ هكذا في السابق .

ثم (ص ض ط ظ) هذه الحروفُ الأربعةُ لم تكنِ العربُ تفرِّقُ بينَها في الخطِّ هكذا : (صـ صـ صـ صـ) ففرَّق نصرُ بنُ عاصمٍ بين الصادِ والضادِ من جهة ، وبينَ الطاءِ والظاءِ من جهةٍ ، بأن وَضعَ للطاءِ والظاءِ هذه العصا الطويلة ، ثم مَيَّز بينَ الصادِ والضادِ بأن نَقَطَ الضاد ، وبين الظاءِ والطاء بأن نَقَطَ الظاء .

ثم (ع غ) نُقطَت الغينُ فتميَّزت عن العين .

ثم (ف ق) للفاءِ نقطةٌ من فوق ، وللقافِ نقطتَين فوقَها ، وكان بعضُهم قد نقطَ الفاءَ بنقطةٍ تحتَها والقافَ بنقطةٍ فوقَها كما هو في الخطِّ الكوفيِّ القديم ، وما زال هذا الاستعمالُ جارياً في بلادِ المغربِ العربيِّ .

ثم (ك ل) فوُضع فوقَ الكافِ ما يُشبهُ الهمزةَ فتميَّزت عن اللَّام .

ثم (م) لا يوجدُ حرفٌ يُشبهها لذلك ليست بحاجةٍ إلىٰ نَقْط .

ثم (ن) تُشبهُ الباءَ والتاءَ والثاءَ فوُضعَ لها نقطةٌ من فوق .

ثم (هـ) وكذلك (و) لا يشتبهان بغيرِهما فليسا بحاجةٍ للنَّقْط .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم (لَا) وهذا حرفُ الألف، وله خصائصُ مفردةً لم يشاركْه فيها حرفٌ آخر.

فهو لا يأتي إلا ساكناً، ولا يكونُ ما قبلَه إلَّا مفتوحاً، ولا يُبتدأُ به لافتقارِه إلىٰ حرفٍ يتقدَّمُ عليه، فمَن أرادَ النُّطقَ بألفٍ وجبَ عليه تقديمُ حرفٍ عليها، فجُلب لها اللَّامُ، والسببُ في اختيارِ اللَّامِ دونَ غيرِها من الحروف، أنَّ اللَّامَ الساكنةَ في (اَلْ) التعريفِ تَفتقرُ إلىٰ همزةِ الوصل عند الابتداء، وهمزةُ الوصلِ جاءت علىٰ صورةِ الألف، لذا كانَ حرفُ اللَّامِ هو أولىٰ الحروفِ ليخدمَ الألفِ فاقترنَ به في (لَا).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner